المجلة التاريخية الجزائرية | المجلد:04، العدد:01، جوان 2020. العدد التسلسلي: 13.ص160–175
ISSN:2572-0023 | Volume: 04-N: 01, June 2020- S/ N 13. p160-175

الشيخ رابح مدّور ودوره في مظاهرات 8 ماي 1945 بسطيف

Sheikh Rabeh Meddour and his role in the May 8, 1945 demonstrations in Setif

د/ إسعد لهلالي * – جامعة سطيف02 د/ سلوى لهلالي – جامعة سطيف02
lahlali.issaad@gmail.com lahlaliselwa@gmail.com

معلومات المقال/History of the article		
الإرسال/Received	المراجعة/Accepted	القبول للنشر/Published
2020/01/25	2020/03/15	2020/06/30

الملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية موضوعا مهما في تاريخ الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، ويتعلق بأحداث 8 ماي 1945، التي كتب عنها الكثير من الباحثين لكن الجانب الخفي في الموضوع هو عدم تسليط الضوء على شخصيات دينية لعبت دورا فعالا في تأطير المظاهرات، ومن بين تلك الشخصيات إمام مسجد أبي ذر الغفاري–مسجد المحطة سابقا– الشيخ رابح مدور، حيث كان من مؤطري مسيرة 8 ماي 1945 التي انطلقت من مسجد المحطة، وسار مع المتظاهرين الذين طالبوا بتطبيق حق الجزائريين في تقرير المصير لكن السلطة الفرنسية حولتها إلى مجازر رهيبة في المدينة ومختلف مناطق سطيف.

الكلمات المفتاحية: رابح مدور، سطيف، مسيرة 8 ماي 1945، مسجد المحطة.

Abstracter:

This research paper is dealing with an important topic in the history of Algeria during the period of the French occupation, and mainly the events of May 8, 1945, which have been dealt with by many researchers. However, one side has been ignored in theses studies. It is the effective role played by some religious figures in managing and supervising these demonstrations. Among these figures was Sheikh Rabeh Meddour: the Imam of Abi Dhar Al-Ghiffari Mosque – (Al-Mahatta Mosque). He was one of the leaders of the May 8, 1945 demonstrations

* المؤلف المرسل/The author of the sender
Dr/ lahlali issaad: University of Mohamed Lamine Dabbaghine - Setif, Algeria. Email: lahlali.issaad@gmail.com

that started from the Al-Mahatta Mosque, he walked with the protestors who claimed the right of the Algerians for self-determination. But the French authorities faced them with terrible massacres in the city and other various Setif regions.

Key words: Rabeh Meddour, Setif, March 8, 1945 demonstrations, Al-Mahatta Mosque.

مقدمة:

عرفت مدينة سطيف نشاطا سياسيا بارزا خلال الحرب العلمية الثانية وبعدها، كما ظهرت فيها شخصيات سياسية ودينية ومن بينها علم من أعلام سطيف ورائد من رواد الحركة الإصلاحية بها، ألا وهو الشيخ رابح مدّور المشهور بابن مدّور، ومن الحقائق التي يقف عند أحداثها جل المؤرخين هي أن دراسة التراجم أو سير القيادات والشخصيات يعد عملا وطنيا خالصا لأن استجلاء مسيرتهم لا تتوقف عند حد الدراسة فحسب بل إلى الافتخار والاعتزاز بهم ، وجعلهم قدوة تقتدي بها باقي فئات المجتمع والشيخ رابح مدور يأتي في مقدمة الرواد الذين حملوا رسالة العلم والتربية والدفاع عن الهوية الوطنية.

ومن بين المواقف الوطنية التي برز فيها الشيخ رابح مدور مسيرة 8 ماي 1945، محطة كانت سطيف مسرحا لها حيث عرفت مظاهرات كبيرة شارك فيها الآلاف وتوسعت إلى الأرياف والقرى وعرفت عمليات إبادة جماعية للجزائريين. والواقع أن ما حدث في شهر ماي سنة 1945 يمثل مرحلة مهمة في تاريخ الجزائر خلال فترة الاحتلال، وهي فترة التوقف والتحقق من وقائعها، لأن مشاركة الجزائريين كانت فاعلة في الحرب– رغم أن الأغلبية جندوا بالقوة في جبهات القتال. كما أن هناك وعودا بمنح الجزائريين حق تقرير مصيرهم في حالة انتصار الحلفاء وهو ما حدث إلا أن السلطات الفرنسية كان رد فعلها على مظاهرات 8 ماي بالتقتيل الجماعي. لقد سالت أقلام الباحثين والمهتمين بتاريخ أحداث شهر ماي 1945 الأليمة والتي تأكدت أنها جريمة ضد الإنسانية من خلال محاولاتهم البحث عن الحقائق وباستنطاق الوثائق والتركيز على شهادات من عايشوا تلك المرحلة العصيبة، والتي أجمعت كلها أنها عملية إبادة حقيقية والدليل هو الآلاف من الشهداء الذين ولحد اليوم لازال البحث مستمرا حول العدد الحقيقي لشهداء مذابح شهر ماي 1945.

وسنحاول في هذه الدراسة– رغم النقص الكبير في المادة الخبرية – أن نسلط الضوء على ما حدث في شهر ماي 1945 وعلاقة الشيخ رابح مدّور بالمسيرة التي وقعت، والدور الذي لعبه هو وبعض مشايخ المسجد الذي انطلقت منه مسيرة 8 ماي 1945 بسطيف، فكيف شارك الشيخ رابح مدور في التحضير للمسيرة؟ ولماذا انطلقت المسيرة من أمام مسجد المحطة – لانقار (أبي ذر الغفاري حاليا) الذي كان هو إمام المسجد؟ كيف تطورت الأحداث وماهي نتائجها؟

أولا/ نبذة عن حياة الشيخ رابح مدّور

ولد رابح مدّور في شهر مارس 1908 بملّول جنوب سطيف ، ابن لخضر بن علي بن الدراجي بن احميدة نشأ وسط عائلة متدينة كانت تعاني كباقي العائلات الجزائرية من السيطرة الاستعمارية وقوانينها التعسفية، وكتب عنه الأستاذ ذويبي الزبير بتعبير جميل ما يلي: "في بيت من بيوتات القرية الصغيرة ، ووسط سهول ملول الخصبة الواسعة جنوب مدينة سطيف العريقة، وذات ربيع من سنة 1908 وتحديدا في شهر مارس، تبرعم الشجرة المدورية الأصيلة المباركة ليطلع من بين أفانينها برعم متميز أيما تميز برعم فيه من اليناعة والخضرة والخصب الشيء الكثير، فكان هذا البرعم الصغير هو ذاك الشيخ الكبير، كبر المكانة والدرجة لا كبر السن والجسامة. ومن يكون هذا إلا ذلك الشيخ الوقور رابح مدور بن لخضر بن رابح بن علي بن الدراجي بن أحميدة"[1].

حفظ رابح مدّور القرآن وهو لم يتجاوز الثانية عشر من عمره بمسجد القرية المعروف باسم مسجد سيدي ساعد خطاب، ثم انتقل إلى زاوية حامدي الشريف المعروفة بزاوية (لحوامد) بقلال جنوب سطيف فتلقى علوم اللغة وعلوم الفقه ونظم الشيخ خليل للمذهب المالكي على يد أساتذة أجلاء من أمثال: رابح قرماش والشيخ محمد القماري [2]. وفي سنة 1929 سافر إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة وبعد سبع سنوات تحصل على شهادة التطويع سنة 1935، وقد درس على يد شيوخ أكفاء منهم: زغوان موسى وإبراهيم النيفر، والطاهر بن عاشور ونجله الأستاذ فاضل بن عاشور ومعاوية التميمي، وعبد السلام التونسي ومحمد الطوسي ومفتاح الطرابلسي ومحمد المنستيري، ومحمد بن الأمين ومحمد الحطاب وأحمد بن عثمان وغيرهم.

وفي سنة 1935 انضم الشيخ رابح مدور إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في شعبة سطيف، وفي سبتمبر من نفس السنة شارك الشيخ مدور في فعاليات جمعية العلماء في المؤتمر الذي انعقد بنادي الترقي بالعاصمة تحت رئاسة الإمام عبد الحميد بن باديس، وبحضور جميع أعضاء الجمعية من أمثال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي والشيخ مبارك الميلي ومحمد خير الدين وغيرهم، وقد ألقى الشيخ مدور خطبة رائعة موضوعها حول الحث على تعليم اللغة العربية والاهتمام بها [3].

وقد درّس الشيخ مدور بالمسجد الذي تعلم فيه القرآن بقرية ملّول، ثم تنقل إلى زاوية بلعيساوي برأس الوادي وعلم فيها سنتين وبعدها عاد إلى مدينة سطيف وعين إماما بمسجد المحطة – لانقار (أبي ذر الغفاري حاليا) سنة 1939 ليستمر في المهمة حتى أثناء الثورة التحريرية حيث تعرض للاعتقال ووضع بقصر الطير لمدة شهرين، وبعد الاستقلال بقي في نفس المنصب إلى غاية وفاته في 16 نوفمبر1994 [4].

ثانيا/ التحضير للمسيرة وانطلاق المظاهرات

ارتبطت التحركات السياسية للاتجاهات الوطنية بانتشار الوعي الوطني لدى غالبية الجزائريين، وقد تميز هذا التيقظ الوطني بنوع من الهياج السياسي والميل إلى الاستعداد لتصديق كل إشاعة، وتبني أي موقف يتجاوب أو يعبر عن طموحات الشعب الجزائري، وقد وصف فرحات عباس هذه الحالة النفسية من الاندلا ع والتحدي التي سادت الأوساط الجزائرية عشية 8 ماي في كتابهّ "ليل الاستعمار" بقوله: "لقد كانت الجماهير تلتهب وطنية وتتقد حماسا مصممة العزم على التطلع إلى حياة أفضل"، هذا في وقت كان فيه جهاز الإدارة الاستعمارية والمعمرين الذين يسيرون الأمور في الجزائر يتحينون الفرصة لإجهاض الحركة الوطنية بالقضاء على طلائعها وإسكات أصوات الداعين لها.

وحسب فرحات عباس فقد ظهرت المعا لم الأولى لتحرك الجماهير في 01 ماي بمناسبة عيد العمال، فذكرت إحدى الصحف الاستعمارية أنه خلالها توضحت الرغبة الهامة، والتفكير في الثورة ظهرت معالمها في عدة مراكز بالجزائر، ففي سطيف الآلاف تجمهروا وراء موكب

للمنظمات النقابية، وخلالها تعالت الصيحات المحرضة، الشرطة تدخلت وقاومت ضغط الجماهير، واحتوت حركتهم وقامت بتفريقهم ،ومثلت مظاهرات أول ماي استعراض للعضلات بالنسبة لحزب الشعب، فحاول من خلالها تحريك الجماهير بشكل منظم وأن يشعر الأوساط الاستعمارية، والحلفاء بمطالب الشعب الجزائري، ومن جهته حاول فرحات عباس تجنب كل الاستفزازات التي من الممكن أن تؤدي إلى إحداث الفوضى يستثمرها المعمرون لتحقيق إستراتيجيتهم في قمع الحركة الوطنية لذلك، وجه تعليمات دقيقة في 04 ماي إلى مكاتب حزبه في الجزائر تضمنت دعوة لتنظيم مظاهرات يوم النصر في هدوء تام [5].

وأن يتم ذلك بعد الاتفاق مع السلطات وضبط التسجيلات التي ينبغي أن تكتب في لافتات يوم النصر الذي ينبغي أن يكون يوم تحرير للشعوب، وأراد أحباب البيان تنظيم مظاهرات جماهيرية كبيرة في العمالات الثلاثة لاستماع العالم صوت الجزائر، وأن يضغط على فرنسا لتقبل بمطالبهم، وفي الساعة الرابعة مساء من يوم 07 ماي تم إلصاق إعلانات النصر على جدران مدينة سطيف، وخرج السكان يجوبون شوارع المدينة وينشدون الأناشيد وفي حوالي الساعة السابعة مساء تعالت صيحات يحيا مصالي، وتعرض بعض المارة الأوروبيون للضرب كما ضربت سيارات المارة والمتوقفة بالعصي، وقام حراس السلم والدرك باستعادة الأمن بصعوبة.

وعند نزول الليل عاد الهدوء لكن المدينة باتت فارغة من الحماس بحيث عاد الذين كانوا يأملون في الاحتفال بالنصر إلى منازلهم خائبين، وبذلك ظهرت الأعراض الأولى للاضطرابات عشية 08 ماي، لكن هناك من أشار إلى أن منشورات بدأت تظهر منذ شهر فبراير 1945 في مدن الجزائر جاء فيه "أيها الإخوة المسلمون إن حياة بلادكم في خطر فالاستعمار قد خربها ماديا ومعنويا. إن الشعب الجزائري لم يتمتع بالحضارة لوجود المستعمر الفرنسي فاللغة العربية مضطهدة منذ الاحتلال والإسلام أصبح محل سخرية، إن كرامتنا لا يضمن لها الاحترام إلا في إطار كيان جزائري وحكومة جزائرية تقوم على سيادة الشعب الجزائري وترفض أية سيادة أجنبية ومن أجل هذا الهدف مات إخوتكم في الزنازن وهم يعانون في السجون والمحتشدات ومنهم من يناضل بحماس في إطار الشرعية أو الخفاء" [6].

إن الغرض من هذا المنشور هو الدعوة إلى وحدة الشعب الجزائري، ولم تكتف الحركة الوطنية بذلك بل تضاعفت المنشورات وظهرت الصحف السرية خاصة في ربيع 1945، كما كانت عودة الجنود الجزائريين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية الذين ساهموا في تحرير فرنسا تثير فضول الناس على الاطلاع عن مجريات الحرب، ومعرفة مشاعر الشعوب فيها مما ساعد الشعب الجزائري على معرفة حقيقة الاستعمار فزاد في حماسه، وأدى إلى ظهور عبارات مكتوبة على الجدران في عدد من المدن الجزائرية مثل جيجل وبسكرة وغيرها توصي بأن هناك شيئا ما يستحق الاستعداد ومن هذه العبارات: "استعدوا فإن ساعة الصفر قد قربت" و" فلنعد أنفسنا للثورة " و" أيها الجزائريون حاربوا من أجل الحرية ،وموتوا إن اقتضى الأمر ولكن لا هوادة مع المضطهدين، أيها الجزائريون إن الجبال تناديكم فساعة التحرير قد قربت "، وقد بلغ هذا التحدي قمته والذي نتج عنه أحداث 08 ماي [7].

لقد استغل حزب الشعب فرصة عيد العمال وقرر تنظيم تظاهرات وأرادها وطنية ليؤثر في الجماهير وليبرهن على الدعم الشعبي له ، من أجل إيجاد الضغط والظروف الضرورية التي يجب أن تؤدي إلى تلبية المطالب الوطنية، التي كانت فكرة أساسية وأولوية في تلك المظاهرات، وبالفعل تواجد هؤلاء وحسب كلمة سر حزب الشعب الجزائري في مدن البلاد الرئيسية، وبالتحديد في الجزائر العاصمة ووهران وبجاية وتلمسان وقسنطينة ومستغانم، وسيدي بلعباس وسوق أهراس وشرشال وملیانة وسكيكدة، ووادي الزناتي وسور الغزلان وغيرها ضمت هذه التظاهرات إلى كل مدن البلاد مبينة بذلك قوة الوطنية الجزائرية، حيث نزل آلاف المتظاهرين الذين ضاقوا ذرعا إلى شوارع، وتبعوا المواكب ولوحوا بالرايات وهتفوا بالشعارات " حرروا مصالي – الجزائر مستقلة".

ثالثا/ الأحداث في سطيف

يوم الثلاثاء يوم سوق مدينة سطيف التي ضاقت شوارعها ومقاهيها وساحاتها بالمتسوقين، والوافدين من البوادي والقرى المجاورة لحضور الاستعراض الضخم ليوم الثامن ماي، فقد قررت حركة أحباب البيان والحرية أن يحتفلوا بالانتصار على الفاشية، والنازية وأن يحيوا أرواح الجنود الجزائريين الذين قاتلوا في جميع الجبهات لتحقيق ذلك الانتصار، كان ذلك هو مغزى المظاهرة.

من أجل ذلك سمحت لها السلطات الفرنسية المتمثلة في والي الولاية الذي اتصل بالسلطات المدنية والعسكرية الفرنسية.

وفي الساعة الثامنة والنصف أخذت أفواج المناضلين والفلاحين، والعمال تتجمع في المسجد القريب من محطة الأرتال إذ انطلقت المظاهرة من هناك في اتجاه قبر الجندي المجهول، حيث وضعت باقة ورود، وقد جرد الجميع مما يحملونه عادة من عصي وخناجر حتى تكون المظاهرة خالية من كل محاولة لارتكاب العنف [8].

وانتظمت المظاهرة وأخذت تسير على رأسها فرق الكشافة الإسلامية الجزائرية حاملة العلم الجزائري، وأعلام الحلفاء ولافتات كتبت عليها: الديمقراطية للجميع، أطلقوا سراح قادتنا المسجونين، من أجل مجلس تأسيسي جزائري، نريد المساواة، يسقط الاستعمار يسقط النظام الأهلي، تحيا الجزائر يحيا مصالي.

وكان المتظاهرون يسيرون في شارعي إنجلترا وكليمنصو، وقد قدر عدد المتظاهرين بالآلاف تحت زغاريد النساء، لما وصلت الكشافة إلى مستوى مقهى فرنسا رددت نشيدا وطنيا جديدا مطلعه "حيوا إفريقيا"، حين ذاك دخل محافظ الشرطة القضائية LULCIEN OLIVIERI، والمفتش LAFONT وHASS إلى الموكب وأنذروا مسؤولي أحباب البيان والحرية لإبعاد اللافتات، والعلم الجزائري غير أن هؤلاء رفضوا ذلك، وتبع ذلك ازدحام كبير وأطلق المحافظ النار في الهواء، وكانت تلك الطلقة بمثابة الإشارة التي جعلت رجال الشرطة يستعدون للقيام بعملياتهم القمعية على مختلف أجنحة الموكب وتجمعوا أمام المتظاهرين، وقدم آخرون من المقاهي ومن السيارات التي كانوا بداخلها لتعزيز صفوف زملائهم، وأطلق بعضهم نيران مسدساتهم على الجزائريين الذين اعترضوا سبيلهم فقتلوا بوزيد شعال في التاسعة والنصف، وأحد حاملي الورود واثنين من رفقائهم واحتدم الصراع بين المتظاهرين والفرنسيين والأوربيين واستعملوا العصي والخناجر وانتقلت بعد الظهر الأخبار إلى القرى، أحداث سطيف وقالمة، وكان الناس يرددون في العديد من القرى لقد ذبح إخواننا في المدن يجب أن نثأر لهم وفي نفس اليوم جند الجنرال "دوفال" جميع فرقه التي بدأت تجوب مدينة سطيف.

وبدأت عمليات القمع والإبادة الوحشية وإحراق المشاتي والمساكن [9]، وبدأت المجازر الرهيبة التي قال عنها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي "يوم مظلم الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها، فلا حياة ولا نور وخرج عن شهره طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور، وغبنت حقيقته عن الأقلام فلا تصوير ولا تدوين، يوم ليس بالغريب عن رزنامة الاستعمار الفرنسي بهذا الوطن، ولم يكن له من أيام مثله ...وفي لحظة تسامع العالم بأن الحرب انتهت أمس ببرلين وابتدأت صباح اليوم بالجزائر... وانجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزل الضعفاء، وإحراق قرى ومدن وتدمير مساكن واستباحة حرمات ونهب أموال وما تبع ذلك من تغريم وسجن واعتقال ...، يا يوم لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى والذكرى التي لا تنسى، فكن من أية سنة شئت فأنت 8 ماي وكفى ... " [10].

وقد انتشرت المظاهرات إلى خارج مدينة سطيف إلى القرى والمداشر القريبة، حيث تحولت الأحداث إلى اشتباكات دموية طيلة الثلاثة أيام المتتالية أي من التاسع إلى الحادي عشر من شهر ماي، وقد تأثرت بها المراكز السكنية بمنطقة سطيف مثل؛ عين الكبيرة، بني فودة، صالح باي، سوق الإثنين، أوقاس، زيامة منصورية، بوقاعة، خراطة، فج مزالة، عموشة [11]. جميلة، العلمة، بني عزيز، والوريسية وغيرها.

رابعا/ تأطير الشيخ رابح مدّور لمسيرة 8 ماي من مسجد المحطة–لانقار (حاليا أبي ذر الغفاري)

لقد كان للشيخ رابح مدّور دور كبير في التحضير لمسيرة 08 ماي وذلك بتهيئة النفوس بواسطة الدروس التي كان يلقيها في المسجد، والواضح أنه عندما نقول الشيخ مدور نقول جمعية العلماء وزعيمها الشيخ بن باديس الذي كان يهيئ النفوس هو وأقرانه العلماء ليس فقط بالتربية والتعليم وإنما كان هدفهم الاستقلال فالإمام عبد الحميد بن باديس كان يؤمن بالثورة ضد الاستعمار [12].

وقد قرر القيام بها حسب بعض الروايات لولا وفاته في 16 أفريل 1940 ، فقد ذكر الشيخ حمزة بوكوشة أن الإمام عبد الحميد بن باديس قد فكر في الثورة أيام إشعال الحرب العالمية الثانية

فقال [13]: "اجتمعت به لآخر مرة بنادي الترقي وكان حاضرا الاجتماع تلميذه الشيخ محمد بن الصادق المليانى ليس غير، وبعدما تحادثنا معه في مواضيع خاصة وعامة انتفض وقال: هل لكم ان تعاهدوني، فقال له الشيخ محمد المليانى لا أستطيع قبل أن أعرف، ثم توجه إلي وقال، وأنت فقلت: إذا كان علي شيء أنت فيه معي فإني أعاهدك، قال طبعا أنا لا أكلف غيري بما لا أكلف به نفسي ، فمددت يدي وصافحته وقلت: إني أعاهدك ولكن على ماذا؟ قال إني سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر عليها ايطاليا الحرب ثم افترقنا ولم يعد بعدها إلى الجزائر، وهكذا كانت نيته، ولست أدري كيف تكون الحالة لو عاش فينا إلى ذلك الحين".

ويذكر أحد طلبة معهد عبد الحميد بن باديس أنه سمع من الشيخ محمد الصالح بن عتيق أن الإمام بن باديس زار الميلية خفية بعدما انفلت من الرقابة الاستعمارية، وسأله عن درجة استعداد الأمة فأجابه بأن رجال الميلية مستعدون، فدعاه للنزول فاعتذر لقصر الزيارة ويضيف أنه قد فهم أن الإمام قد حدد دخول ايطاليا في الحرب للبدء في الثورة، لكنها لم تدخل حتى مات، وكانت عينه على إيطاليا لأنها كانت تجاور الجزائر ويمكن أن تمدنا بالسلاح [14].

ويؤكد هذا التوجه ما ذكره محمد الصالح بن عتيق بأن الإمام بن باديس قال له ذات يوم [15]: "لو وجدت عشرة يوافقونني على القيام بالثورة لقمنا بذلك" ويضيف محمد الصالح الصديق بأنه ذات مرة حدثه علي مرحوم بأنه كان جالسا مع الإمام بن باديس، فسأله شخص فقال: "يا شيخ يلاحظ الناس بأنك لا تدعو إلى الاستقلال وتحرير الجزائر فقال له الامام: نحن نبني الجدران، والاستقلال هو سقف الجدران، وهل هناك من يبني سقفا بدون جدران".

أما الشيخ مطاطلة تلميذ الإمام بن باديس فيقول [16]: "ذات مرة في الحرب العالمية الثانية والتي ضاعت فيها الفرصة للجزائر، وكان قد وصل إلى مسامع الشيخ عبد الحميد بن باديس خبر أن فرنسا تجند الجزائريين لمحاربة الألمان، فضاق بهذا الكلام ذرعا، وكان له صديق من سطيف اسمه إبراهيم بلال، قال له ياسي إبراهيم، يقال أن أي ثورة انطلقت من سطيف كانت ناجحة فما رأيك الآن، فهذا الوقت الذي تخرجون فيه إلى الجبال وانا أمامكم، بدل محاربة الألمان، وكيف تساعدون فرنسا، وإذا مت فاضربوا على قبري وأخبروني أن فرنسا سقطت"، وفعل ذلك الشيخ

مبارك الميلي، ورغم وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلا أن إدارة الاحتلال ظلت تتخوف من قوة العلماء وتأثيرهم في الأوساط الشعبية لأنها كانت تدرك أن بن باديس قد ترك وراءه في خضم المعركة رجالا ورثوا الكلمة والنهج السليم لقيادة الحركة في اتجاهها الانفصالي عن فرنسا [17].

والشيخ رابح مدّور كان أيضا يحمل فكر الامام بن باديس فهذا الأخير زار سطيف لتدشين مسجد المحطة –لانقار وألقى فيه خطبة أما الشيخ البشير الإبراهيمي فكان كثير التردد على المسجد والتقى مع الشيخ مدور مرات عديدة، فحسب نجله يوسف فالوالد كان متشبعا بفكر جمعية العلماء فدروسه التي كان يلقيها في المسجد منذ تعيينه سنة 1939 فيها إيحاء وتنبيه لوضعية الجزائر وضرورة التخلص من الاستعمار، ولم يكن لوحده في المهمة بل ساندہ المشايخ الذين كانوا يدرّسون في لما كان طالبا بالمسجد [18] من سنة 1942 إلى 1945: الشيخ البشير الريغي والشيخ محمد عادل، الشيخ صادق حماني والشيخ محمد وعلي الزواوي والشيخ حسونة، وكان رئيس الجمعية الشيخ لمطاعي ومراقب الطلبة سي العربي " تريسيتي "(نكاع) [19] .

والواقع أن مسيرة 8 ماي 1945 انطلقت من أمام مسجد المحطة واختيار المكان له دلالة واضحة لمن كان وراء هذه المسيرة التي شارك فيها الكشافة، وأنصار البيان ومن حزب الشعب والفلاحين لأن يوم الثامن ماي كان الثلاثاء يوم السوق في المدينة والكل يريد أن يحتفل مع انتصار الحلفاء وتذكير الفرنسيين بوعودهم بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم.

لقد تم الترخيص للمسيرة وكان المكلف بالكشافة عبد القادر بن يعلى وبتنسيق مع الضابط الفرنسي الذي طلب منه، ومن كل المشاركين في المسيرة وضع السكاكين والعصي داخل المسجد وانطلقت المسيرة ومعها الشيخ رابح مدور وكان ابنه عيسى حاضرا يراقب والده، أما ابنه الآخر يوسف وحسب شهادته لنا فقد أسرع إلى المنزل ليغير ملابسه لأنه كشاف– كان عمره 10 سنوات– ولما عاد وجد المسيرة قد انطلقت، فحاول اللحاق بهم لكن في الطريق سمع إطلاق الرصاص وهروب المتظاهرين في كل الاتجاهات فعاد إلى المنزل ثم لحق به أخوه عيسى والوالد رابح.

ويضيف الأستاذ يوسف مدّور أن الفرنسيين والكولون الذين كانوا عل الشرفات المقابلة للشارع الرئيسي حيث سار المتظاهرون، كان لهم دور في تأجيج الوضع وتحريض العسكر الفرنسي وكذا هتافاتهم المعادية للجزائريين ووصفهم بالمقملين، ليطلق الكوميسار النار على سعّال بوزيد وتبدأ الإبادة الجماعية للجزائريين التي انتقلت إلى القرى والمداشر وفي عدة مناطق من الوطن [20].

لقد خلفت المجازر أكثر من خمسة وأربعين ألف شهيد،[21] لكن رغم ذلك فقد استمر الجزائريون في كفاحهم، وكذلك الأمر بالنسبة للشيخ مدّور الذي واصل في رسالته الدينية التربوية بمسجد المحطة دون أن ينسى الهدف الأساسي في استنهاض الهمم ضد الاستعمار الغاشم، وقد تأكد عزم الجزائريين من خلال تفجير الثورة التحريرية.

خاتمة:

يمكن القول أن الشيخ رابح مدّور لعب دورا بارزا في التحضير لمسيرة 08 ماي 1945 خاصة وأنه كان إمام مسجد المحطة التي انطلقت منها المسيرة، وقد تبيّن دور الشيخ مع زملائه المشايخ في تهيئة الجو من خلال تحركاتهم، وخطب الشيخ الإيحائية التي تزامنت مع مجريات الحرب العالمية الثانية، وأغلب المصادر التاريخية أشارت إلى مدى تخوف الفرنسيين من تمرد الجزائريين خاصة بعد اكتساح الألمان للعاصمة الفرنسية باريس في بداية الحرب، دون نسيان الأفكار التي نادى بها الإمام بن باديس بدفاعه عن ثوابت الأمة والرافضة للسيطرة الفرنسية.

فالشيخ رابح مدّور كرّس كل وقته وماله، وجهده دفاعا عن دينه ولغته ووطنه وسار مع المتظاهرين في مسيرة الثامن ماي السلمية التي رفع فيها العلم الجزائري، ورفعت شعارات الحرية والاستقلال وبقيت تلك المجازر خالدة في أذهان من عايشوها لتأكّد بشاعة الاستعمار.

والحقيقة أن هذه الشخصية لازالت تحتاج إلى أبحاث أخرى لأنّ ما قمنا به هو مساهمة بسيطة في حق رجل عظيم أفنى عمره في خدمة دينه ولغته ووطنه، وعليه نتمنى أن يستمر البحث حول هذه الشخصية لاكتشاف حقائق أخرى تفيد كل الباحثين والمهتمين بشخصية الشيخ رابح مدور (توفي في 16 نوفمبر 1994).

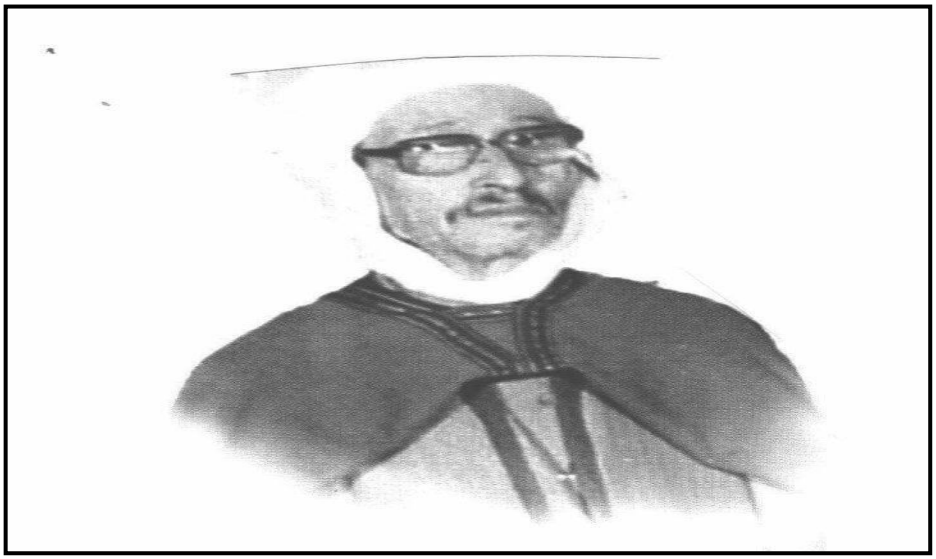

صورة للشيخ رابح مدور

L'ECHO D'ALGER

Le tragique bilan
des émeutes de la région de Sétif

On compte jusqu'ici 67 tués, 45 blessés
des femmes violées, des maisons, des
fermes pillées, d'autres incendiées

أحداث 8 ماي 1945 بسطيف في جريدة l'écho d'Alger

La Dépêche Algérienne

1 fr. 50 — LE GRAND QUOTIDIEN DE L'AFRIQUE DU NORD — Samedi 12 MAI 1945 — 37e Année — No 11.448

9, Bd Laferrière, ALGER — Tél. 200-55 et la suite — Ch. P. 20-31 — LE PETIT ALGERIEN — Publiée à Alger: Havas, 37, r. d'Isly (Cons)

Le CONSEIL des MINISTRES approuve les mesures prises pour maintenir l'ordre en Algérie

Des dispositions sont prises pour assurer le ravitaillement en céréales de l'Afrique du Nord

Les émeutes de la région de de SÉTIF sont évoquées aux Délégations financières

Le gouverneur général CHATAIGNEAU donne lecture d'un télégramme du général de GAULLE, affirmant « la volonté de la France victorieuse de ne laisser porter aucune atteinte à la souveraineté française sur l'Algérie

La séance

Communication de M. le Ministre plénipotentiaire Yves CHATAIGNEAU gouverneur général de l'Algérie

ORGANISATIONS D'INSPIRATION HITLERIENNE

Le P.P.A. et les Amis du Manifeste responsables des incidents

29 victimes à Sétif parmi la population européenne

Aux Délégations financières

أحداث 8 ماي 1945 بسطيف في جريدة **la dépêche algérienne**

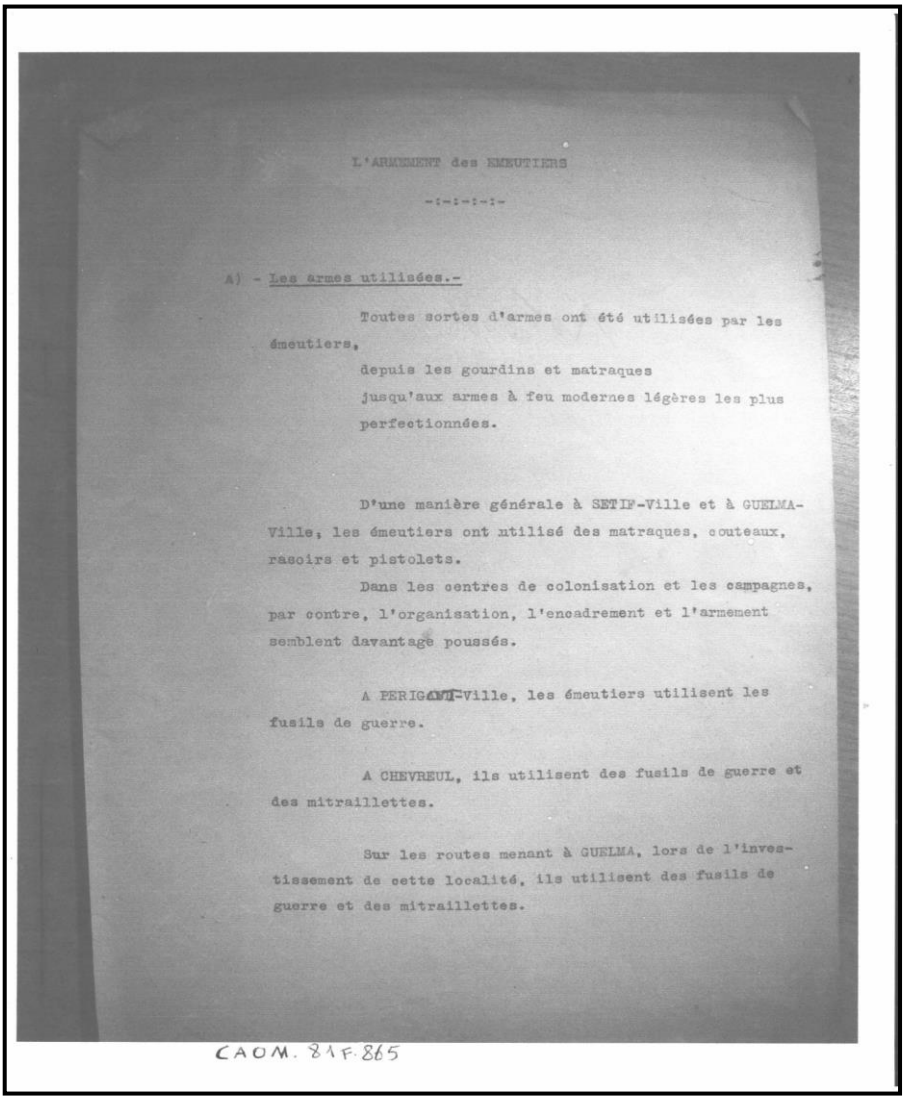

L'ARMEMENT des EMEUTIERS

-:-:-:-:-

A) - Les armes utilisées.-

Toutes sortes d'armes ont été utilisées par les émeutiers,
depuis les gourdins et matraques
jusqu'aux armes à feu modernes légères les plus perfectionnées.

D'une manière générale à SETIF-Ville et à GUELMA-Ville, les émeutiers ont utilisé des matraques, couteaux, rasoirs et pistolets.
Dans les centres de colonisation et les campagnes, par contre, l'organisation, l'encadrement et l'armement semblent davantage poussés.

A PERIGOT-Ville, les émeutiers utilisent les fusils de guerre.

A CHEVREUL, ils utilisent des fusils de guerre et des mitraillettes.

Sur les routes menant à GUELMA, lors de l'investissement de cette localité, ils utilisent des fusils de guerre et des mitraillettes.

CAOM. 81F.865

تقرير عسكري فرنسي عن الأسلحة التي استعملها المتظاهرون وجدناها في أرشيف آكس أو بروفانس

CAOM.81 F 865

الهوامش:

1- ذوبي خثير الزبير: **الشيخ رابح مدور المشهور بابن مدور**، دار المعرفة، الجزائر :2013، ص 12.

2- المرجع نفسه، ص 14-15.

3- المرجع نفسه، ص 18-26.

4-مقابلة شخصية مع نجله الأستاذ يوسف مدور – نجل الشيخ رابح مدور – بسطيف يوم 15 ديسمبر 2015.

5- مجلة الذاكرة، ع/02. يصدرها المتحف الوطني للمجاهد .1995. ص 19-20.

7- المرجع نفسه، ص 45-46.

8-ناصر الدين سعيدوني: "**أحداث 08 ماي 1945**"، مجلة الذاكرة، ع/ 02، 1995 ص ص 20-21. أنظر أيضا:. Mohamed lhadi cherif :8 Mai 1945 à Setif ,8 Mai 2009

9-محمد لحسن زغيدي:" **مجازر 08 ماي 45** "، مجلة الذاكرة، ع/02،1995، ص 32، أنظر: جون لوي بلانش: **سطيف بوادر المجزرة**، ترجمة: عبد السلام عزيزي، وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر 2007، ص-201-208.

10- محمد البشير الإبراهيمي: " **ذكرى 8 ماي** "، جريدة البصائر، ع/ 35، 10ماي 1948، ص1.

11-إسعد لهلالي: "**شهادة المناضل عبد الرحمان شلوش من منطقة عموشة بسطيف**"، جريدة صوت الأحرار، اع/ 2491، 08 ماي 2006، ص6.

12- لقد أكد عمار أوزقان- أحد أعضاء التيار الشيوعي في تلك الفترة – أن الشيخ باديس قد ناضل ضد الاستعمار وقد كان له أصدقاء سياسيين وشخصيين داخل كل الأحزاب خاصة المناضلين الثوريين مهما كان انتماؤهم السياسي والعقائدي، فمنهم من كان ينتمي إلى حزب الشعب الجزائري أو الحزب الشيوعي أو مناضلون نقابيون وكان بعض رؤسائهم من تلاميذه بالجامع الاخضر: أنظر:

Amar Ozegane **: le meilleur combat, préface de Abdelkader djeghloul**, éditions ANEP, Rouïba, Alger,2006 p34.

13-سليمان الصيد: **رد شبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ثورة أول نوفمبر 1954**، ط1، دار هومة، الجزائر، 1995، ص ص 26-27.

14- المرجع نفسه، ص ص 28-29.

15-محمد الصالح الصديق: **مقابلة شخصية، بمنزله بالقبة**، الجزائر العاصمة الخميس 30 أكتوبر 2008.

16-عمار مطاطلة: **مقابلة شخصية بمنزله الابيار**، الجزائر العاصمة، 12 نوفمبر 2008.

17- عبد الكريم بو صفصاف: **صدى وفاة ابن باديس، في التقارير الفرنسية والصحافة الأهلية عام 1940**، مجلة الأصالة، ع/ 68-69، الجزائر أفريل – ماي 1979، ص 54.

18- مقابلة شخصية مع نجله الأستاذ يوسف مدور بسطيف يوم 15ديسمبر2015

19- شهادة عبد الحفيظ أمقران للأستاذ ذويبي الزبير بتاريخ 19 أفريل 2007.

20- مقابلة شخصية مع نجله الأستاذ يوسف مدور بسطيف يوم 15ديسمبر2015

21- لقد اختلفت التقارير حول عدد الضحايا الجزائريين في تلك المجازر، فجاء في تقرير وزير الداخلية الفرنسية "تيكسيه" حيث ذكر أن عدد الجزائريين الذين شاركوا في الحوادث " 50ألف شخص، ونتج عن ذلك مقتل (88) فرنسيا وجرح (150) أما الجانب الجزائري فمن (1200) إلى (1500)، ولم يذكر عدد الجرحى، وأعتقل (2400) أطلق سراح

(517) وحكم الباقي، أما التقارير الجزائرية فتتراوح ما بين 40 ألف إلى 70 ألف إن التناقض في أقوال وزير الداخلية الفرنسي والحاكم العام لجزائر حول عدد القتلى الجزائريين يؤكد صحة الإحصاء الجزائري في أن عدد شهداء الثامن ماي بلغ 45 ألفا أو يزيد .أنظر: لحسن زغيدي: المرجع السابق، ص 32. حول الأحداث أنظر: إسعد لهلالي: **إحياء للذكرى 62 لأحداث 8 ماي 1945**، مطبعة الثقة، سطيف، 2007.